الشيخ أبو العباس الهلالي ودوره في البسملة.

سلسلة (8/ 2)

د/ أحمد فاضل

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي افتتح كلامه المبين بسمه والثناء عليه بما هو أهله، فقال سبحانه: ﴿بِسْمِ اِللَّهِ اِلرَّحْمَـٰنِ اِلرَّحِيمِ اِلْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ اِلْعَـٰلَمِينَ﴾[1]. نحمده –جل وعلا– حمدا يوافي نعمة ما من به من توفيق وهداية، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على أفضل البشرية، سيدنا محمد نبي الرحمة، صلى الله عليه وعلى آله وصحابته، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد؛

فهذه الحلقة الثانية من سلسلة حلقات درر البسملة الواردة عن الشيخ الهلالي –رحمه الله ورضي عنه– من خلال كتابه نور البصر في شرح المختصر، والتي قدمنا منها —على غير ترتيب– الدرة الأخيرة لتعلقها بالأقوال الواردة في قرآنية البسملة ومناقشتها من قبل الشيخ؛ وذلك لارتباطها بتخصص الموقع، كما كانت لنا وقفة تعريفية بالشيخ الهلالي من خلال ذكر اسمه ونسبه، وولادته ونشأته، ومكانته العلمية، ومؤلفاته القرائية، ووفاته.

وفي حلقة اليوم نرجع إلى ترتيب تلك الدرر كما ذكرها الهلالي رحمه الله. وأولها: الدرة المتعلقة بتفسير مفردات البسملة، ونقف من هذه الدرة على تفسير لفظي: (بسم الله) تاركين الصفتين (الرحمن الرحيم) إلى الحلقة القادمة بتوفيق وعون من الله عز وجل.

وملخص ما أثاره الهلالي للنقاش في لفظي: (بسم الله) أنه توقف عند معاني الباء الأربعة عشر من لفظ: (بسم) التي ترد للتعدية، والإلصاق، والاستعانة، والسببية، والبدل، والمصاحبة، والمقابلة، والاستعلاء، والزيادة، والتعويض، والمجاوزة، والظرفية، والغاية، واليمين.

---

1 السورة الفاتحة الآية 1.

وساق الهلالي –رحمه الله– بيتين شعريين يجمعان هذه المعاني للباء على الترتيب الذي ذكرت.

ثم بين –رحمه الله أن المشهور من هذه المعاني ثنتان: المصاحبة والاستعانة، فبين معناهما مع التمثيل لهما.

ثم انتقل الشيخ –رحمه الله– إلى الحديث عن (اسم) مبينا معناه في اللغة وإطلاقاته، وأن بعض العلماء بنى عليه مسائل فقهية، من مثل من قال: بسم الله لأفعلن، هل يكون قسما بالله أم لا؟ ومنها من قال لزوجه: اسمك طالق هل تطلق عليه زوجته أم لا؟.

ثم انتقل إلى الحديث عن لفظ الجلالة (الله) من حيث كونه اسما خاصا بذات مولانا عز وجل، وأنه هو الاسم الأعظم في القول المختار، وأنه أعرف المعارف، وليس بمشتق، ثم ختم بخصائص هذا الاسم في الاستعمال[2].

ولنترك القارئ الكريم يستمتع بما كتبه الهلالي –رحمه الله– حول ما ذكر، قال –رضي الله عنه وأرضاه–:

الدرة الأولى: في تفسير مفرداتها

أما الباء: فحرف يرد لمعان أشار لها بعضهم بقوله:

تَعَدِّ لُصُوقًا وَاسْتَعِنْ بِتَسَبُّبِ وَبَدِّلْ صِحَابًا قَابَلُوكَ بِالِاسْتِعْلاَ
وَزِدْ بَعْضَهُمْ أَنْ جَاوَزَ الظَّرْفَ غَايَةً يَمِينًا تَحُزْ لِلْبَا مَعَانِيَهَا كُلاَّ

فهذه أربعة عشر معنى، والمشهور مما ذكروا منها هنا المصاحبة والاستعانة.

أما المصاحبة: فالمراد بها بقرينة المقام: ما يكون منها على وجه التبرك، فكأن المبتدئ بالبسملة يقول: أفعل كذا حالة كوني متبركا فيه بسم الله.

فالمصطحبان: هما العمل المبدوء به أو البادئ، ومدخول الباء. والتبرك منسحب على جميع العمل، سواء قدر العامل عاما أو خاصا، كما يأتي في الإعراب إن شاء الله.

---

2 نور البصر (ص: 120-128).

وأما الاستعانة: فليس المراد بها طلب العون كما توهم، بل المراد بها كون مدخول الباء واسطة في حصول العمل على الوجه المعتد به.

وباء الاستعانة هي الداخلة على آلة الفعل، نحو: كتبت بالقلم، بمعنى أن القلم هو الواسطة لي في حصول الكتابة، وكذا هنا يقال معناها: أن اسم الله تعالى هو الواسطة في حصول العمل المشروع فيه لبركة الاسم الشريف.

فمآل المصاحبة والاستعانة هنا واحد.

واعترض الثاني بأن باء الاستعانة لما كانت هي الداخلة على الآلة، وقد علم أن الآلة غير مقصودة لنفسها، وإنما تقصد بالتبع، كان جعلها للآلة سوء أدب؛ لأن اسم الله تعالى يجب له التعظيم والإجلال، والآلية تقتضي التبعية والابتذال.

وأجيب بأن الآلية لها جهتان: جهة توقف الفعل عليها، وجهة تبعية، فروعي في الاستعانة هنا الجهة الأولى دون الثانية. ودفع بأن ما فيه سوء أدب لا يجوز استعماله في الجانب العلي، وإن أريد به معنى صحيح لا إخلال فيه بالأدب، وبأن مراعاة إحدى الجهتين دون الأخرى مما يدق عن أفهام العوام، ولا شعور لهم به، والبسملة مطلوبة منهم كالخواص، فكيف يطالبون بما لا شعور لهم به؟.

قلت: ويرد بأن المقام ليس فيه إطلاق لفظ الآلة على اسم الله تعالى، فيرد عليه ما ذكر، بل غاية ما فيه أن الناطق بالبسملة، يعتقد بالاستعانة أن الاسم المبارك هو الواسطة في حصول مطلوبه الذي شرع فيه، وأنه لولا بركته لم يطمع في حصوله، وهذا المعنى لا يدق عن أفهام الناطقين بالبسملة، وإن كانوا عوامَّ، وإذا كان مآل المعنيين واحدا وهو التبرك، فالمآل هو الذي يسبق لأذهان العوام، وهذا محقق منهم، فليس في مطلوبية البسملة منهم أمر لهم بما لا شعور لهم به كما قيل.

وقد أطال أرباب الحواشي على الكشاف وتفسير البيضاوي في توجيه ترجيح كل من المصاحبة والآلية، ولا حاجة إلى ذلك بعدما علمت من اتحاد المآل[3].

---

3 ينظر حاشية السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني على تفسير الكشاف للزمخشري (1: 32) وحاشية الشيخ زادة علي على تفسير البيضاوي (1: 17) وحاشية الشهاب الخفاجي (1: 38).

وقد حكي في معنى الباء هنا أقوال أخر:

منها: أنها بمعنى على، ولعل قائله أراد الاستعلاء المجازي كقولك: سر على اسم الله.

ومنها: أنها للإلصاق، وهذان راجعان لمعنى ما قبلهما.

وقيل: إنها زائدة، وهو مرغوب عنه.

ومن الغريب ما قيل: إنها للقسم.

وَنَحْوٌ منه قول من قال: هي للتعدية متعلقة بالحمد، يعني في الفاتحة ونحوها مما ذكر فيه الحمد بعدها. والله تعالى أعلم.

وأما لفظ اسم: فالاسم في أصل اللغة: هو اللفظ الدال على معنى بالوضع، شخصيا كان الوضع أو نوعيا، فكل لفظ دل على معنى فهو اسم لذلك المعنى، فيتناول الاسم النحوي وقسميه.

فقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾[4]. يتناول جميع ما ذكر، والمسمى هو مدلول اللفظ المذكور.

والتسمية تطلق غالبا على وضع الاسم للمعنى كما في قولك: "سميت ابني زيدا" أي: وضعت له هذا الاسم وعينته للدلالة عليه، ومنه: ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾[5]. ﴿هُوَ سَمَّيٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[6].

وتطلق تارة على إطلاق اللفظ على الشيء ونسبته إليه، كما لو قيل: فلان عالم، فيقول منكر علمه: لماذا سميته عالما وهو جاهل؟ وكما يقال: يسمى العالم بحرا؛ لاتساعه في العلم، وجبلا؛ لرسوخ قدمه فيه، أي: يطلق عليه اسم البحر والجبل، وهو استعمال شائع، قال الشاعر:

لاَ تَقُلْ فِي الْجَوَادِ مَا لَيْسَ فِيهِ وَتُسَمِّي الْبَخِيلَ بِاسْمِ الْجَوَادِ.

أي: لا تطلق على البخيل لفظ الجواد.

---

4 من الآية 30 من سورة البقرة.

5 من الآية 36 من سورة آل عمران.

6 من الآية 76 من سورة الحج.

وتطلق تارة أخرى على مجرد ذكر الاسم، كقولك لمن تريد أن لا يذكر اسمك: لا تسمني؛ أي: لا تذكر اسمي.

ومنه ما في الحديث أنه –صلى الله عليه وسلم– قال لعمر بن أبي سلمة[7] –وهو صغير ويده تطيش في الصحفة–: «سَمِّ اللهَ وَكُلْ بِيمِينِكَ»[8] أي: أذكر اسم الله.

وفي حديث أبي[9] رضي الله عنه «أَوْ سَمَّانِي اللهُ»؟[10] أي: أو ذَكَر اسمي؟.

قال: المواق[11] وكان شيخي المنتوري[12] رحمه الله (لم يزل)[13] يُنشد:

أُسْرُدْ حَدِيثَ الصَّالِحِينَ وَسَمِّهِمْ فَبِذِكْرِهِمْ تَتَنَزَّلُ الرَّحَمَاتُ
وَاحْضُرْ مَجَالِسَهُمْ تَنَلْ بَرَكَاتِهِمْ وَقُبُورَهُمْ زُرْهَا إِذَا مَا مَاتُوا

فقوله: سمهم، معناه: اذكر أسماءهم، ولذا فرع عليه ما بعده.

وقد علم مما ذكرنا أن الاسم غير المسمى؛ لأن الأول: هو اللفظ الدال، والثاني: هو المعنى المدلول، ومسألة اختلافهم في الاسم أهو عين المسمى أم غيره؟: مسألة طويلة

---

7 عمر بن أبي سلمة بن عبد الأسد، ربيب النبي ﷺ أمه أم سلمة أم المؤمنين رضي الله عنها ولد بالحبشة في السنة الثانية، روى عن النبي ﷺ أحاديث في الصحيحين وغيرهما، وعن أبيه، وروى عنه ابنه محمد، وسعيد بن المسيب وعروة وأبو أمامة بن سهل وغيرهم. مات بالمدينة سنة (83هـ) في خلافة عبد الملك بن مروان. من مصادر ترجمته: الإصابة في تمييز الصحابة (4: 487).

8 أخرجه البخاري في كتاب: الأطعمة، باب: التسمية على الطعام والأكل باليمين، ح: 5376 ومسلم في كتاب: الأشربة، باب: آداب الطعام والشراب وأحكامهما ح: 2022.

9 أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد أبو المنذر وأبو الطفيل، سيد القراء، من أصحاب العقبة الثانية، شهد بدرا والمشاهد كلها، قال له النبي ﷺ ليهنك العلم أبا المنذر، وقال له: إن الله أمرني أن أقرأ عليك. أخرج له الأئمة أحاديثه في صحاحهم، وعده مسروق في السنة: من أصحاب الفتيا، توفي سنة (30هـ) في خلافة عثمان رضي الله عنه من مصادر ترجمته الإصابة في تمييز الصحابة (1: 180- 182).

10 أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: استحباب قراءة القرآن على أهل الفضل والحذاق فيه وإن كان القارئ أفضل من المقروء عليه ح: 799.

11 محمد بن يوسف بن أبي القاسم بن يوسف العبدري، الأندلسي، الغرناطي المالكي، الشهير بالمواق، أبو عبد الله، فقيه، من آثاره: شرح كبير على مختصر خليل سماه التاج والإكليل والمختصر في فروع الفقه المالكي، وسنن المهتدين في مقامات الدين. توفي عام (897هـ) ترجمته في نيل الابتهاج (324-325).

12 أبو عبد الله، محمد بن عبد الملك بن علي بن عبد الملك ابن عبد الله القيسي، الغرناطي الأصل، المعروف بالمنتوري، محدث فقيه، مقرئ.توفي عام (834هـ) من آثاره: الأمالي في الأحاديث العوالي، المسلسلات، الغريب وتحفة الجليس وبغية الأنيس، وشرح ابن بري في قراءة نافع. ترجمته في نيل الابتهاج (ص:291)، فهرس الفهارس (2: 564).

13 "لم يزل" ساقطة من (ع).

الذيل، قليلة النيل؛ إذ الخلاف فيها لفظي، كما قال الشيخ زكرياء في شرح لب الأصول[14].

وبنى بعضهم عليه مسائل فقهية، منها من قال: بسم الله لأفعلن، هل يكون قسما بالله أم لا؟ ومنها من قال لزوجه: اسمك طالق هل تطلق أم لا؟ والجاري على مذهبنا عدم لزوم اليمين والطلاق، إلا إذا نوى بالاسم الذات مجازا، والله أعلم[15].

ولكون الاسم غير المسمى حسن التمني في قول الشاعر:

وَقَدْ زَعَمَ الْوَاشُونَ أَنْ قَدْ شَتَمْتِنِي وَيَا حَبَّذَا مِنْ فِيكِ لَوْ عُلِمَ الشَّتْمُ
لَقَدْ قَبَّلَ اسْمِي فَاكِ حِينَ ذَكَرْتِنِي فَلَيْتَ الْمُسَمَّى مِثْلَ مَا زَعَمُوا الِاسْمُ

ويأتي في الإعراب –إن شاء الله– الكلام على مأخذ لفظ الاسم ولغاته.

ولفظ الاسم هنا: اسم جنس، أضيف إلى معرفة، فيعم جميع أسماء الله تعالى، فالتبرك بمصدوقه وهو جميع الأسماء لا بلفظه، وهو ظاهر، ولا بخصوص الأسماء الثلاثة التي في البسملة فقط، ويحتمل أن يكون مصدوقه اسم الجلالة فقط، كما يأتي في الإعراب إن شاء الله.

وأما اسم الجلالة: –أعني لفظ الله– فهو من قبيل العَلَم الشخصي، وإن قلنا بمنع إطلاق الشخص على الله تعالى، فهو اسم خاص بذات مولانا المعبود بالحق، المتصف بكل كمال، المنزه عن كل نقص.

قال الشيخ زكرياء عن بعض الشافعية: "أكثر العلماء على أن الاسم الأعظم هو الله، واختار النووي تبعا لجماعة أنه الحي القيوم"[16].

وعلى كل فتخلف الإجابة لكثير من الداعين بهما لتخلف شروطها التي منها أكل الحلال.

---

14 عبارة الشيخ زكريا "والخلف لفظي" ينظر غاية الأصول شرح لب الأصول (ص:16).

15 ينظر في ذلك شراح المختصر، في فصل أركان الطلاق، عند قول المصنف خليل ﵀ "وأدب المجَزِّئُ كمطلق جزء، وإن كـ(يد)" على سبيل المثال. ينظر شرح مختصر خليل للخرشي (4: 53).

16 مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج (1: 9).

ونقل عن سيبويه: أن اسم الجلالة أعرف المعارف؛ لأنه لا يقبل الشركة بوجه. وحكي عنه أنه رياء في النوم فأخبر أن الله –تعالى– فعل به خيرا كثيرا لقوله: هو أعرف المعارف[17].

وقال الشنواني في شرح مقدمة الشيخ زكرياء: "قال السعد التفتازاني: "اعلم أنه كما تحيرت الأوهام في ذاته وصفاته، فكذا في اللفظ الدال عليه، هل هو اسم أو صفة مشتق، أو غير مشتق، عربي أو معرب"؟؟.

وقال الإمام الفخر: "المختار عندنا أن هذا اللفظ اسم لله تعالى، وأنه ليس بمشتق، وهو قول الخليل وسيبويه، وأكثر الأصوليين والفقهاء".

قال السيد في شرح المواقف:[18] "وهو المروي عن أبي حنيفة، والشافعي، والخطابي، والغزالي.

وممن اختار أيضا هذا القول تلميذ الغزالي ابن العربي وغيره[19].

قال ولي الله[20] أبو القاسم القشيري، نقلا عن الخليل بن أحمد: "بمعنى أنه اسم له خاص، كما يكون لغيره أسماء الأعلام والألقاب، إلا أنه لم يطلق عليه اسم العلم واللقب؛ لعدم التوقيف". انتهى كلام الشنواني.

وانظر قوله لم يطلق عليه اسم العلم مع تصريح كثير من الأئمة بِعَلَمِيَّتِهِ. قال الغزالي في المقصد الأسنى: "**وكل ما قيل في اشتقاقه فهو تعسف**"[21].

وقد اختلف القائلون باشتقاقه في أصله اختلافا كثيرا، ولا دليل قطعي لأحد منهم، وأكثرهم يقول: أصله "إلاه" بمعنى مألوه، أي: معبود، يقال: أله يأله إلاهة كعبد يعبد عبادة وزنا ومعنى، ثم حذفت همزته شذوذا، وعوض عنها حرف التعريف، وجعل علما.

---

17 لم أقف لسيبويه على هذه اللفظة: "أن اسم الجلالة أعرف المعارف" في كتابه، ووجدته تكلم عن لفظ الجلالة وحكمها مع النداء في كتابه الموسوم بالكتاب (2: 195).

18 المواقف في علم الكلام للعضد الإيجي.

19 أحكام القرآن لابن العربي (2: 343).

20 ولي الدين أبو القاسم عبد الرحيم بن عبد الكريم، جمع بين الشريعة والحقيقة مع الزاهد والورع والتواضع. توفي عام (465هـ) ترجمته وفيات الأعيان لابن خلكان (3: 205).

21 المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى للغزالي (ص:40).

وقيل: أصله الإله بحرف التعريف، فنقلت كسرة الهمزة إلى لام "أل" وحذفت الهمزة قياسا، ثم أدغمت اللام في اللام شذوذا؛ لأن القياس أن لا يعتد بالعارض[22].

وقد أنكر ابن مالك القول بأن أصله إلاه، أوالإلاه بدون أل أو بها، وبالغ في تقرير بطلانه، ونقل كلامه الشنواني، والأولى عدم التعرض لاشتقاقه والله تعالى أعلم.

ولهذا الاسم الشريف خصائص في الاستعمال:

منها: تفخيم لامه بعد غير الكسرة على الراجح، وقيل مطلقا للتعظيم[23].

ومنها: رجحان قطع همزته في النداء للتعظيم أيضا، مع كونها لازمة ومعوضة مع اللام من همزة قطعية أصلية على القول بأن أصله إلاه، وخص القطع بالنداء دون غيره، نحو: قال الله؛ لأنه في النداء تتمحض العوضية، وتضعف مراعاة أصلها الذي هو التعريف؛ لأن التعريف حاصل بالنداء، وفي غير النداء أجريت على الأصل.

ومنها: كثرة تعويض الميم من حرف النداء الداخل عليه نحو: اللهم[24].

ومنها: أنه قد يحذف في الشعر حرف الجر الداخل عليها، وتحذف أل ويبقى الجر كقوله:

لاَهِ ابْن عَمِّكَ لاَ أُفْضِلْتَ فِي حَسَبٍ عَنِّي وَلاَ أَنْتَ دَيَّانِي فَتَخْزُونِي.

أي: لله ابن عمك.

ومنها: أنه قد تقلب ألفه المتوسطة المحذوفة في الخط ياء، وتقدم عليها الهاء، مع حذف حرف الجر وأل، فيقال: لَهْيَ أبوك، أي: لله أبوك وهو بفتح اللام وسكون الهاء وفتح الياء، مبني لتضمنه معنى حرف التعجب[25].

---

22 ينظر حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي (1: 50) ومغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج للشيخ محمد بن الخطيب الشربيني (1: 9).

23 قال ابن الجزري رحمه الله في المقدمة في باب اللامات وأحكام متفرقة:

وفخم اللام من اسم الله ** عن ضم أو فتح كعبد الله

تراجع المقدمة مع شرحها: فتح رب البرية شرح المقدمة الجزرية، لصفوت محمود سالم.

24 قال ابن مالك في ألفيته:

وباضطرار خص جمع يا وأل** إلا مع الله ومحكي الجمل

والأكثر اللهم بالتعويض ** وشذ يا اللهم في قريض.

ينظر شرح الألفية لابن عقيل (3: 240- 241).

25 شرح كافية ابن الحاجب لرضي الدين الأستراباذي (3: 231).

هذا ما ورد عن شيخنا العلامة سيدي أحمد بن عبد العزيز الهلالي السجلماسي –رحمه الله– حول لفظتي (بسم الله) من الدرة الأولى من درر البسملة، ونقف في الحلقة القادمة –إن شاء الله– مع لفظتي (الرحمن الرحيم) لإتمام هذه الدرة، والله الموفق، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما.